جمهورية مصر العربية	١٨ رمضان ١٤٤٢ هـ
وزارة الأوقاف	٣٠ أبريل ٢٠٢١م

(١)

يوم بدر .. دروس وعبر

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم: {وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمّدًا عَبدُه ورسوله، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيهِ، وعلَى آلِهِ وصحبِهِ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ، وبعد:

فإن يوم بدر من أيام الله سبحانه وتعالى المباركة، حيث جاء فيه التثبيت والتأييد من الله (عز وجل) لعباده المؤمنين الذين أوذوا، وأُخرِجوا من ديارهم بغير حق، فأذن الله تعالى لهم أن يدفعوا الظلم عن دينهم ووطنهم وأنفسهم، وبشرهم بالنصر العظيم، حيث يقول تعالى: {أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنّ اللَّـهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ}، فكان يوم بدر يومًا فارقًا بين الحق والباطل، وسماه الله تعالى يوم الفرقان، ونال من شهده من البشر والملائكة التشريف الأعظم والتكريم الأسمى، حيث يقول نبينا (صلَّى اللهُ عليه وسلَّم): (جَاءَ جِبريلُ، فقال: ما تَعدُّونَ مَنْ شهِدَ بَدْرًا فِيكمْ؟ قُلتُ: خِيارُنا، قال: وَكَذلِكَ مَنْ شهِدَ بَدْرًا مِنَ المَلاَئِكَةِ هُمْ عِندَنا خِيارُ المَلائِكةِ).

والمتأمل في هذا اليوم المشهود يجده مليئًا بالدروس والعبر، منها التفاف الصحابة (رضوان الله عليهم) خلف قائدهم سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، ومن ذلك قول سيدنا المقداد بن عمرو (رضي الله عنه): يَا رَسُولَ اللَّهِ، امْضِ لِمَا أَرَاكَ اللَّهُ، فَنَحْنُ مَعَكَ، وَاللَّهِ لاَ نَقُولُ لَكَ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى: اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلاَ إِنّا هَا هُنَا قَاعِدُونَ، وَلَكِنِ اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلاَ إِنّا مَعَكُمَا مُقَاتِلُونَ...، وقول سيدنا سعد بن معاذ (رضي الله عنه): (والَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، لَوِ اسْتَعْرَضْتَ بِنَا هَذَا الْبَحْرَ فَخُضْتَهُ لَخُضْنَاهُ

مَعَكَ، مَا تَخَلَّفَ مِنّا رَجُلٌ وَاحِدٌ...، وأخذ (صلى الله عليه وسلم) برأي سيدنا الحُباب بن المُنذِر أن ينزل بالجيش بجوار أقرب ماء، وأن يبنوا عليه حوضًا ليشربوا منه.

كما علمنا نبينا (صلى الله عليه وسلم) حسن التوكل على الله تعالى المبني على الأخذ بأقصى الأسباب المتاحة، مع البعد عن كل موانع النصر كالتفرق، والاختلاف، والتنازع، فرتَّب (صلى الله عليه وسلم) الصفوف، وأعد الخطة المحكمة، وقد كان العرب يقاتلون كرًّا وفرًّا، فاستحدث نبينا (صلى الله عليه وسلم)الوسائل القتالية التي لم يعهدها العرب من تنظيم الصفوف وترابطها، حيث يقول سبحانه: {وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}، ويقول تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ}، ويقول جل شأنه: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ}.

ومع الأخذ بأقصى الأسباب كان (صلى الله عليه وسلم) دائمَ الذكر والدعاءِ والتضرع إلى الله (عز وجل) تطبيقًا لقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}، حيث قال (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وَهُوَ فِي قُبَّةٍ يَوْمَ بَدْرٍ: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَنْشُدُكَ عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ)، وما زال يجتهد في الدعاء والتضرع إلى ربه حتى أَخَذَ سيدنا أَبُو بَكْرٍ (رضي الله عنه) بِيَدِهِ، وقَالَ: حَسْبُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَدْ أَلْحَحْتَ عَلَى رَبِّكَ، فَخَرَجَ (صلى الله عليه وسلم) وَهُوَ يَقُولُ: (سَيُهْزَمُ الجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ*بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ).

لقد أخذ النبي (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه (رضي الله عنهم) بكل أسباب النصر في يوم بدر، فجاءتهم البشارات تترى، تطمئن قلوبهم بالنصر العظيم، حيث يقول تعالى: {إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ*وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ*إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ

أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّن السَّمَاء مَاء لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ}.

***

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

ومن الدروس المستفادة أيضًا أمران ؛ الأول : الوفاء بالعهد حتى مع الأعداء فلقد ضرب لنا النبي (صلى الله عليه وسلم) أروع الأمثلة في الوفاء حتى مع أعدائه، يقول سيدنا حُذَيْفَةُ (رضي الله عنه): مَا مَنَعَنِي أَنْ أَشْهَدَ بَدْرًا إِلاَّ أَنِّي خَرَجْتُ أَنَا وَأَبِي، فَأَخَذَنَا كُفَّارُ قُرَيْشٍ، قَالُوا: إِنَّكُمْ تُرِيدُونَ مُحَمَّدًا، فَقُلْنَا: مَا نُرِيدُهُ، مَا نُرِيدُ إِلاَّ الْمَدِينَةَ، فَأَخَذُوا مِنَّا عَهْدَ اللَّهِ وَمِيثَاقَهُ لَنَنْصَرِفَنَّ إِلَى الْمَدِينَةِ وَلاَ نُقَاتِلُ مَعَهُ، فَأَتَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم)، فَأَخْبَرْنَاهُ الْخَبَرَ، فَقَالَ: (انْصَرِفَا، نَفِى لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ، وَنَسْتَعِينُ اللَّهَ عَلَيْهِمْ).

الثاني : حسن التعامل مع الأسرى ، حيث قبل(صلى الله عليه وسلم) من بعضهم الفداء، وأطلق بعضهم (صلى الله عليه وسلم) دون مقابل، بل أبدى (صلى الله عليه وسلم) استعداده أن يطلق سراحهم جميعًا دون فداء لو كان المطعم بن عدي حيًّا وشفع فيهم، وفاءً له حين أجار نبينا (صلى الله عليه وسلم) عند عودته من الطائف، حيث يقول (صلى الله عليه وسلم): (لَوْ كَانَ الْمُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ حَيًّا، ثُمّ كَلَّمَنِي فِي هَؤُلاَءِ لَتَرَكْتُهُمْ لَهُ).

فما أحوجنا إلى الأخذ بكل أسباب النصر، فننتصر على أنفسنا وشهواتنا، ونعمل جميعًا بإخلاص وعلم وجد وأمل، وتعاون على كل خير نافع للناس كل الناس، حيث يقول سبحانه: {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}.

اللهم أيدنا بنصرك، وأدم علينا فضلك، واجعل مصرنا في عنايتك إلى يوم الدين.